

طفل كان يعمل مع والده على عربة خضار في السوق، فإذا نودي للصلاة توجه إلى المسجد ، فكان يرى صورة المصلين في المسجد لا تتوافق مع أعمالهم وتصرفاتهم وأخلاقهم خارج المسجد **فالصامت** المتأمل في المسجد بذيء اللسان في السوق ، **والتالي** الباكي يطفف بالميزان ، **والمطيل** في سجوده مخاصم لمن حوله من بني الإنسان ، **فضل يسأل نفسه** لماذا هذا التناقض ، ولماذا هذا الفصل بين الدين والحياة **ولما كبر علم ..**

أن هؤلاء لم يأخذوا الإسلام بشموليته **ولو فهموا شمولية الإسلام** لكانت حياتهم في السوق إنعكاس لما يتعلموه في المسجد **شمولية الإسلام** من القيم الحضارية الجامعة ، لأن الإسلام ما أقام حضارته في تلك الفترة الزمنية القصيرة إلا لأنه عالج كل مظاهر الحياة وشملها بقيمه ومبادئه وأخلاقه وأحكامه ، فأحكم بناء حضارته

نتحدث اليوم عن شمولية الإسلام :

لنراجع واحدة من أهم خصائص هذا الدين التي يوم ضعف الإيمان بها سقطت حضارة الإسلام ، فأصبح المسلمون **إما مغالي متشدد** لا يرى الإسلام إلا من دائرة الحرام **وإما منفتح متفلت** يريد أن يطوع الإسلام لرغبات الناس وبالذات الكفار **وإما مسلم يلبس الإسلام لباس الشعوذة والخرافة** كالشعية والصوفية ، وهذه الفرق مدعومة ومؤيدة ومتبناه من قبل الغرب لأنهم يحققوا للأعداء هدفهم في التشكيك بصلاحية وشمولية هذا الدين لإدارة الحياة **والنبي عليه الصلاة والسلام ..** أشار إلى هذه الأصناف وجعل مهمة العلماء الدارسين للكتاب والسنة حماية الدين منهم **وذلك حين قال** فيما أخرج البيهقي وصحح الألباني: (يحمل هذا العلم من كل خلف عدوله ينفون عنه تحريف الغالين وانتحال المبطلين وتأويل الجاهلين)

من أجل ذلك : نحتاج لمراجعة قيمة شمولية

الإسلام لترسيخها عقيدة في عقول وقلوب المسلمين ، حماية لهذا الدين ممن يريد الانتقاص منه ، **ممن يريده** عقيدة بلا شريعة ، ودين بلا دنيا ، وجهاد بلا قتال ، ودعوة بلا دولة ، وحق بلا قوة

وشمولية الإسلام لها معان عدة ، منها :

الأول: أن الإسلام نظام ينظم حياتك من لحظة الاستيقاظ إلى لحظة المنام ،

فلا تقبل التقسيم ساعة لربك وساعة لقلبك ، بل قل إن ساعة قلبي هي ساعة ربي ، ربي الذي قال : **(وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى)** فكن مع الله في أفراحك وأتراحك

الثاني : أن تصبغ الحياة بالإسلام **(صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ)**

والصبغة : هي اللون الواحد المتناسك الذي يغطي كامل الثوب ، فلا بد أن يكون الإسلام صابغا لجسد الحياة بجوانبها المختلفة

الثالث : إعادة الحياة للمسجد وإعادة المسجد

للحياة ، فما هزمنا وفقدنا حضارتنا إلا يوم أدخلنا الإسلام إلى المسجد وأغلقتنا عليه الأبواب فحققنا للعلمانية هدفها ومرادها

الرابع : الإحاطة بهذا الدين من جميع جوانبه

قال المثنى بن الحارث الشيباني للنبي صلى الله عليه وسلم : إن قبلت أن ننصرك مما يلي العرب إلا الفرس فعلنا ، فقال له رسول الله : (لا يقوم بهذا الدين إلا من أحاطه من جميع جوانبه)

مشكلة الأمة اليوم أنها تركت قيم الإسلام في كثير من جوانب الحياة ..

والحياة في الحقيقة هي مجموعة أنشطة

جاء الإسلام وهو يبني حضارة الدنيا ليدير هذه الأنشطة عبر الأحكام والآداب ، **ومنها :**

النشاط الاجتماعي :

فالإسلام فصل بأحكامه وأدابه كيف يدير الإنسان حياته الشخصية كيف ينام ويأكل ويشرب ويقضي حاجته

ووضع قواعد الزواج والتعامل الأسري وشرع
العقوبات الحافظة للأسرة ،

وأوصى بحسن الجوار وصلة الرحم وبر الوالدين
وحسن تربية الأبناء
فشمل بنصوص الوحيين حياة الناس الاجتماعية
من كل اتجاه

النشاط الاقتصادي :

(وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ
قِيَامًا) (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ
بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ)
(لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً)

النشاط الثقلي :

دعانا الإسلام للعلم والقراءة ، وعلما ما يحل
مشاهدته وسماعه وما لا يحل ، **علما أن مصدر**
التلقي للثقافة وبناء التصور من القرآن والسنة
وكتب العلماء والأئمة ، **وأمرنا بالتبحر** في علوم
الدنيا ما لم تتعارض مع عقيدة أو شريعة ،
عمر بن الخطاب يقرأ من صحيفة فيها من بقايا

ما نزل على نبي الله موسى فلما رآها النبي بيده
غضب وقال : أمتهوكون يا بن الخطاب وأنا بين
أظهركم والله لو كان موسى بن عمران بيننا ما
وسعه إلا أن يتبعني
غضب رسول الله خوفا على ثقافة صحابه

النشاط العسكري :

❖ **سنجد أن الإسلام** علمنا وأمرنا بالإعداد
والتدريب (واعدوا لهم ما استطعتم من قوة) (ألا
إن القوة الرمي)
❖ **وعلما آداب الحرب** وقيمها ، بين لنا ما نفعله
وما لا نفعله في لحظات القتال
❖ **علما صلاة الخوف** وأحكام الأسرى والغنيمة
والفيء
❖ **علما متى نقاتل ومتى نسالم** وعلى ماذا نهادن

النشاط السياسي :

سنجد أن الإسلام علمنا أن مهمة المسلم خلافة
الأرض وحكمها بالشرع
فبين لنا ابتداء دستور الحكم

(وَأَن احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ)

(يَا دَاوُودُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ فَاحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ)

وعلمنا الإسلام مهام الحاكم :

بأنها سياسة الدنيا بالدين وتحقيق الأمن والحفاظ على الكليات الخمس (الذين إن مكناهم في الأرض أقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وأمروا بالمعروف ونهوا عن المنكر ولله عاقبة الأمور)

وعلمنا الإسلام شروط الحاكم :

(اجْعَلْنِي عَلَى خَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْمُ
(إِنْ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيَ الْأَمِينُ)

وقال رسول الله لأبي الدرداء (إنها لأمانة وإنها يوم القيامة خزي وندامة)

وعلمنا الإسلام أن نظام الحكم

قائم على الشورى والعدل والحرية والمساواة

وعلمنا علاقة الحاكم بالمحكومين

(متى يطاع الحاكم ومتى يخلع)

وتجلت هذه القيمة في المقام السياسي يوم قال

أبو بكر الصديق (والله لأقاتلن من يفرك بين الصلاة والزكاة)

قيمة الشمولية في القرآن

أولاً : تعامل القرآن مع الإسلام كدين شامل للحياة ، بل جعل الاجتزاء بأخذ حكم دون حكم وفريضة دون فريضة من صفات اليهود الذين قال الله لهم موبخاً

(أَفْتَوْمُنُونِ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَنْ يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنْكُمْ إِلَّا خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)

ثانياً : تحدث القرآن بلغة الدم

عن قوم شعيب الذين أرادوا التفريق بين الدين والاقتصاد (قَالُوا يَا شُعَيْبُ أَصْلَابُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ تَتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا

نَشَاءُ يريدون اقتصاد حر لا قيود عليه ،
يريدون اقتصادا لا يخضع لقاعدة :
من أين اكتسبه وفيما أنفقه

ثالثا : تقديم الإسلام كمنهج شامل :
(وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ)
(وَكُلِّ شَيْءٍ فَصَّلْنَاهُ تَفْصِيلًا)

فجاء القرآن مبينا لكل شيء في الحياة بصفة الإجمال وجاءت
السنة مفصلة لجمل القرآن ومبينة لمبهمه

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)
.. هذه الآية : ..

سبقها : حديث عن المنافقين الذين يظهرون خلاف
ما يبطنون
ولحقها : حديث عن اليهود الذين تعاملوا مع
الدين باجتراء

وكان سبب نزولها : أن عددا من اليهود الذين
أسلموا **قالوا لرسول الله** (إن يوم السبت يوم كنا
نعظمه فدعنا نسبت فيه ، وإن التورات كتاب الله
فدعنا نقم بها الليل)

وفي هذا الطلب اتهام ضمني بأن الإسلام فيه نقص

يريدون اكماله بطقوس يهودية ، فأنزل الله
جبريل بهذا الأمر
(ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً)

أي ادخلوا في الإسلام كله ، خذوا الإسلام بكل
شرائعه ولا تستجدوا شيئا من غيره
لأن السلم عند جمهور المفسرين هو الإسلام
قال الإمام الألويسي : نأخذ الإسلام بكماله
وشموليته ، بأركانه وقواعده ، بثوابته ومتغيراته
، بقيمه ومبادئه
نأخذه أخذا كاملا لا تجزئة فيه ولا تبويض

فلا تكن ممن يقول

أنا مسلم لكن الاقتصاد أخذه من كارل ماركس
وآدم اسمتث ،
أنا مسلم لكن السياسة ينظمها لي القانون
الفرنسي ،

أنا مسلم لكن الأحكام والجنايات تضعها لي موثيق
الأمم المتحدة

ولا تكن ممن ..

❖ **يقبل حكم الإسلام في الطهارة والصلاة**

ولا يقبل حكم الإسلام في الحدود والعقوبات
❖ يقبل الإسلام شعائر تعبدية ، ولا يقبله شريعة
تنظم الحياة سياسة واقتصاد

❖ يقبل أمر الله (كتب عليكم الصيام)

ولا يقبل أمر الله (كتب عليكم القتال)

❖ يقبل الإسلام ذكر ودعاء

ولا يقبله نصيحة للحاكم ومواجهة للظالم

رابعا : بين القرآن أن الإسلام دين الأنبياء جميعا :

فما بعث الله نبيا ولا رسولا إلا بالإسلام وما دل نبي
قومه إلا على الإسلام

(قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى

إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب

وإل إسحاق وما أوتي موسى وعيسى وما أوتي

النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم

ونحن له مسلمون)

قالها نبي الله نوح

(وأمرت أن أكون من المسلمين)

وقالها أبو الأنبياء إبراهيم في دعائه

(ربنا واجعلنا مسلمين لك ومن ذريتنا أمة
مسلمة لك)

وقالها سليمان في رسالته للملكة سبأ

(إنه من سليمان وأنه بسم الله الرحمن

الرحيم ألا تعلوا علي وأتوني مسلمين)

وقالها يوسف بل كانت أمنيته الأخيرة (توفي

مسلماً وألحقني بالصالحين)

هذه الأربع تنسف العلمانية من جذورها

لأن العلمانية قامت لهدم شمولية الإسلام مدعية

النقص في دين الإسلام ، وتناقضه مع طبيعة

الحياة ، وأن الحل بفصل الدين عن الحياة

فالعلمانية إذا تناقض (ادخلوا في السلم كافة

وتناقض قول الله (فلا وربك لا يؤمنون حتى

يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في

أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلموا تسليما)

وبسبب التيار العلماني انقسم الناس في تعاملهم

مع الإسلام إلى ثلاثة أقسام

1. الأخذ بكل ما جاء به الإسلام :

في ما يتعلق بأمر الدين وأمر الدنيا

2. الأخذ بالإسلام في الجانب العبادي والعقائدي

دون السياسي والاقتصادي :

قوم : يحاربون شرك القبور ويتركون شرك
القصور

3. الأخذ بالإسلام في المسجد وتركه في مختلف

مجالات الحياة :

قوم : فصلوا الدين عن الحياة

ولهؤلاء نوجه سؤالاً مفاده ؟

كيف تفصلون عن حياتكم ديناً اعتمده الله

لجميع خلقه حين قال :

(إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ)

وبين أنه لن يقبل من خلقه ديناً غيره

(وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ

وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ)

ثم كيف تشك بشمولية الإسلام

وأنت إذا تأملت سورة البقرة فقط ستجدها قد

شملت كل مناشط الحياة :

وفي جانب العقيدة : تحدثت سورة البقرة عن

الإيمان بالله وملائكته ورسوله واليوم الآخر

وفي جانب العبادة : تحدثت سورة البقرة عن

الصلاة والصيام والزكاة القبلة والحج والعمرة

وفي جانب التشريع تحدثت سورة البقرة عن

الحدود والعقوبات كالقصاص والردة الحرابة

والكفارات

وفي جانب المعاملات تحدثت سورة البقرة عن

الدين والإشهاد والكتابة

وفي الجانب العسكري تحدثت عن الجهاد والقتال

وفي الجانب الاقتصادي تحدثت عن البيع والشراء

والربا

وفي الجانب الأخلاقي تحدثت سورة البقرة في آية

(ليس البر) عن خلق الوفاء والصبر والصدق وغيره

وفي الجانب الاجتماعي والأسري

تحدثت سورة البقرة عن النكاح والطلاق والعدة والإيلاء والرضاع

وفي الجانب السياسي

تحدثت سورة البقرة عن الاستخلاف والمسؤولية على الأرض وقدمت الإنسان كحاكم سياسي (إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً)

ختاما أخا الإيمان :

رسخ في قلبك أن الإسلام عقيدة وشريعة ودين ودولة ومصحف وسيف ، وإن الإسلام منهج دعوة وتربية ومنهج وجهاد ومقاومة

قل للذين تنكبوا درب الهدى
جهدا ولم يتمسكوا بعهود
إن الذي شرع الحرام هو الذي
شرع الحلال لنا وكل مفيد
أفتؤمنون ببعضه وبيعضه
تتهاونون أذاك فعل رشيد